شأوت العباد

وأطلق الباشق على سُماناة فأخذها فقال:

[المتقارب]

أَمِـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ بَـلَـغْـتَ الـمُـرَادَا
وَفِـي كُـلِّ شـأْوٍ شَـأَوْتَ الْـعِـبَـادَا[١]
فَـمَـاذَا تَـرَكْـتَ لِـمَـنْ لَـمْ يَـسُـدْ،
وَمَـاذَا تَـرَكْـتَ لِـمَـنْ كَـانَ سَـادَا[٢]
كَـأَنَّ الـسُّـمَـانَـى إِذَا مَـا رَأَتْـكَ
تَـصَـيَّـدُهَـا تَـشْـتَـهِـي أَنْ تُـصَـادَا[٣]

قانص الأبطال

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خَشْفاً فتلقَّفتْهُ الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً:

[الرجز]

وَشَـامِـخٍ مِـنَ الْـجِـبَـالِ أَقْـوَدِ
فَـرْدٍ كَـيَـافُـوخِ الْـبَـعِـيـرِ الْأَصْـيَـدِ[٤]

---

(١) الشأو: الغاية. شأوت: سبقت. يُخاطب الشاعر ممدوحه مشيداً بإنجازاته؛ فما يميزه متعدّد المناحي عن غيره، فقد بلغ أعلى أمانيه وحقّق ما يطمح له فسبق أقرانه وتفوّق عليهم في ميادين تفوّقهم.

(٢) يسأل الشاعر ممدوحه عمّا لم يتعاطه من الأمور، فلم يترك من أمور السيادة شيئاً لمن لم يسد، وحتى من ساد لم يترك شيئاً إلّا سبقه فيه.

(٣) السُّمانى: ضرب من الطير يُصاد للحمه. يعجب الشاعر كيف أن السمانى قد سمحت للباشق أن يصطادها، فكأنها تحب أن تقع بين يديك لتتكرم بلمس يديه.

(٤) وردت الأبيات الأربعة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٥. الشامخ: العالي. الأقود: المرتفع طولاً. يافوخ البعير: رأسه. الأصيد: الملتوي العنق. يصف الشاعر جبلاً شامخاً تطاول بين جبال، وقد تعرّجت فيه طرقه صعوداً كأنه رأس بعير أصيب بداء أدّى إلى اعوجاجه.

يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ
فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعَقَّدِ(١)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ
لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ(٢)
بِكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ
مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ(٣)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ
عَلَى حِفَافَيْ حَنَكٍ كَالْمِبْرَدِ(٤)
كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ
يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي(٥)
يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْخِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
فَثَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِ(٦)

---

(١) الجلمد: الصخر. المسد: الحبل المصنوع من الليف. يرسم الشاعر الجبل ومضايقه؛ فالصاعد فيه يواجه طرقاً ضيّقة صخرية تتعرَّج بمنعطفات خطرة متشابكة كأنها عقد حبل من مسد لوجود نتوءات فيها.

(٢) إنها زيارة ونزهة ليختلي المرء بصافي الودّ من الأصحاب والتلهّي بالصيد واستنشاق الهواء العليل الذي لم تُفسده الحضارة بمفاسدها وملاهيها، والبشر بريادته لعلوه وصعوبة مرتقاه ومنحدراته.

(٣) و (٤) وإلى جانب الشاعر والأمير وعبيده كلاب مدرّبة على الصيد تستقي دماء فرائسها، سوداء منظرها يثير الرعب يقوم على رعايتها قوّاد يحرصون على حمايتها، وبأيديهم سلاسل أطواقها فيُرسلونها خلف الطرائد فتنشب أنيابها في ضحاياها حادّة بحيث لا تستطيع منها فكاكاً لقوّة فكّين كأنهما مبردان يسحقان ما وقع تحتهما.

(٥) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٥. يدي: يدفع القاتل دية ليتخلّص من تبعة فعلته. تبدو كلاب الصيد بضراوتها وشدّتها في قتل فرائسها كأنها تعمل على الفتك بها وتتطلب ثأراً لها على الفريسة دون أن تحقد عليها، فقتلها لفرائسها لا دية عليها فيه.

(٦) ورد الشطر الأخير من البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٥. ينشد: يطلب. الخشف: ولد الظبية الذي استغنى عن أمه وبرز قرناه. يصف الشاعر طريقة =

كَـــأَنَّـــهُ بَـــدْءُ عِـــذَارِ الأَمْـــرَدِ
فَـلَـمْ يَـكَـدْ إِلَّا لِـحَـتْـفٍ يَـهْـتَـدِي (١)
وَلَـمْ يَـقَـعْ إِلَّا عَـلَـى بَـطْـنِ يَـدِ
وَلَـمْ يَـدَعْ لِـلـشَّـاعِـرِ الـمُـجَـوِّدِ (٢)
وَصْـفـاً لَـهُ عِـنْـدَ الأَمِـيـرِ الأَمْـجَـدِ
الـمَـلِـكِ الْـقَـرْمِ أَبِـي مُـحَـمَّـدِ (٣)
الْـقَـانِـصِ الأَبْـطَـالَ بِـالـمُـهَـنَّـدِ
ذِي الـنِّـعَـمِ الْـغُـرِّ الْـبَـوَادِي الْـعُـوَّدِ (٤)
إِذا أَرَدْتُ عَـــدَّهَـــا لَـــمْ تُـــعْـــدَدِ
وَإِنْ ذَكَـرْتُ فَـضْـلَـهُ لَـمْ يَـنْـفَـدِ (٥)

= صيد الكلاب لذلك الخشف، فرغم قوته وشدّة عدوه فقد وقع في فخ محكم الخطة؛ إنه يختبئ بين الأعشاب الخضراء التي استطالت حتى لم يعد يظهر بينها ورغم ذلك فقد وقع في كمين محكم.

(١) رود البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٥. يصف الشاعر العشب الذي كان يُغطي المكان، إنه أخضر نديّ لدِن شبيه بعذار فتًى لم يدرك مبلغ الرجال بعد يميل مع النسيم الرقيق، ورغم محاولات الفرار فإن الظبي قد أنهكته المحاولة، فراح يرتمي بين فكي الكلب مستسلماً لمصير بائس.

(٢) ورد الشطر الأول من البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٦. يتابع الشاعر وصف مصير الظبي لقد أذعن للأمر ووقع في قبضة لا ترحم على بطن يد الكلب الذي قام بعمله أحسن قيام.

(٣) لقد أتى الشاعر على وصف صيد الكلب، فلم يترك شاردة ولا واردة إلَّا ذكرها كما وقعت للملك السيد العظيم أبي محمد.

(٤) و (٥) القنص: الصيد أصلاً ولكن الشاعر قصد فتك ممدوحه بأعدائه. الغرّ: البيض. يمدح الشاعر الملك بأنه يقتنص الأبطال في ميادين القتال بسيفه المصنوع في بلاد الهند ويصفه أيضاً بالكرم فأياديه غرَّاء بيضاء تغرف الأموال وتوزّعها على مستحقّيها وتعيد الكرّة مرّة بعد مرّة، ولو حاول عدّها لما استطاع لتكرار الحركة، ذلك أن فضل عدائه لا يتوقّف عند حدّ.